الشوقيات

« الجزء الاول »

— لاحمد شوقي —

شعر شوقي أكمل صورة تمثل حاضر الأمة المصرية ، كما انه أصفى مرآة نتراءى بها حياة مصر السياسية والإجتماعية والأدبية .

والعوامل التي هيأت هذا الشاعر جمّة : فهو من حيث الدم والعرق مزيج من شعوب شتى او كما يقول عن نفسه : عربي تركي يوناني جركسي لانه يمتُّ الى هذه الشعوب بأنساب آبائه وأمهاته . وهو من حيث المولد والنشأة مصري ، وُلد ونشأ في بيت اسماعيل عزيز مصر ، وناهيك ببلاط اسماعيل وما فيه من البذخ والترف والأبهة والجلال ، وأرسله الخديو توفيق الى اوربا ليتم تحصيله في مدارسها ، فتثقف بالثقافة الغربية وانفسح لخياله مجال واسع من عالم الشعر ، فلما توفي توفيق وولي بعده ابنه عباس كان شوقي شاعره الخاص ورفيقه وسميره ومن أعظم الناس نفوذاً في قصره .

وشبت الحرب العامة ، وخلع عباس ، وولي حسين كامل ، وشوقي محافظ على ولاء مولاه محافظةً حمّلته عناء النفي والتغرب عن مصر والذهاب الى الأندلس التي ظلّ بها الى ما بعد انقضاء الحرب والتي بعثت في نفسه ذكريات المجد الخالد الذي أقامه العرب في تلك الربوع فنظم بها قصيدة جيدة .

حوادث خطيرة وأمور مدهشة وتطور عجيب أدركها شوقي : عظمة اسماعيل وسقوطه ، والثورة العرابية ، واحتلال انكلترة للقطر المصري ، وتولية توفيق ووفاته ، وإقامة عباس وخلعه ، وما نتج عن هذه الأحداث من قلب الحياة المصرية رأساً على عقب ، وسريان التمدين الاوربي في القطر المصري ، واخذ المتعلمين من الناشئين بمناحيه ، وتنبه الافكار الى اقتباس التربية الغربية ، وشيوع الروح الوطنية والحماسة الشعبية في نفوس المصريين ، وما بذلوه من جهودهم وأموالهم ودمائهم في مظاهراتهم وثوراتهم الأخيرة في سبيل استقلالهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بينا هذه الحوادث تجري في مصر كان الشرق الاسلامي والعالم العربي تنزل على رأسه الضربة تلو الضربة من الطمع الاوربي والجشع الاستعماري ، وكان يتثاءب من رقاد طويل ويفتح عينيه بعد نوم عميق ، ولكن على مجازر وفجائع ، بعثت فيه ثورة فكرية ما زالت تمخض بأحداث عظيمة ما سيكون منها أعظم مما كان وما هو كائن .

وشوقي ، المصري بمولده ومنشئه ، والمسلم بدينه وعاطفته ، والعربي بلسانه وفنه ، والواقف على الثقافة الغربية ، والعارف بما عند الغربيين من حول وطول ، وبما تنطوي عليه نفوسهم من حيلة ودهاء ، جرت كل هذه الحوادث على مشهد منه فهيأته لأن يكون الشاعر الفرد في عصره .

* * *

يمتاز شوقي بقوة طبعه ، وسعة خياله ، وسمو شاعريته ، ودقة حسه ، وسرعة ملاحظته ، وكونه خلق شاعراً قبل كل شيء ، ويكمل ذلك روعة بيانه ، وفصاحة أسلوبه ، وكرم ديباجته ، وكثرة الماء في شعره ، وذوقه الموسيقي الشعري في الفاظه وتراكيبه ، واضطلاعه بفنون البلاغة ، ووفرة معرفته بالتاريخ والأدب ، فهو قد استوفى أدوات الشاعر الخلقية والكسبية ، وهو اذن الشاعر حقاً .

لا اعرف شاعراً في هذا العصر قادراً على تصوير كل ما يجول في نفسه ويحوك في صدره ، مجوداً في كل فن من فنون الشعر مثل شوقي ، فتراه يلج الى الشعر من كل باب ، ويترجم به عن كل خالجة ، والشعر أطوع له من ظله ، ينظم في المواضيع السياسية والوطنية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية والادبية والقصصية والاقتصادية ، وفي ما بعد الطبيعة وفي باب التربية والتعليم والمواعظ والحكم والأخلاق ، ويصور الآثار الخالدة ومشاهد الطبيعة ، ويتغزل ويتصابى ويصف الخمرة ومجالس الأنس والرقص والرياض ، ويفتخر ويمدح ويرثي ويعزي ويتهكم ، بأسلوب عربي فصيح ، حتى انه لم يشأ ان يفوته نظم الشعر العامي المعروف بالمواليا فلقد عاناه ونظم جملة منه .

وكان جو مصر لم يسعه فلقد تعداه الى غيره من الاقطار الشرقية ، ولم يكتف بان يكون شاعر مصر بل طمح الى ان يكون شاعر العرب والاسلام والشرق .

وقعت الحرب العثمانية اليونانية أيام السلطان عبد الحميد فعناه امرها اكثر مما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عني كل شاعر تركي ونظم بها قصيدة طويلة اتى فيها على حوادث الحرب منذ البداية الى النهاية واول القصيدة :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أيان تضربُ

وأردفها بقصيدة ثانية في الموضوع نفسه مطلعها :

بحمد الله رب العالمينا وحمدك يا امير المؤمنينا

وألقيت على السلطان عبد الحميد قذيفة ونجا من شرها فقال قصيدة أولها :

هنيئاً امير المؤمنين فإنما نجاتك للدين الحنيف نجاةُ

وأعلن الدستور العثماني فقال فيه قصيدة مطلعها :

بشرى البرية قاصيها ودانيها حاط الخلافة بالدستور حاميها

وخلع السلطان عبد الحميد فقال في ذلك قصيدة أولها :

سل (يلدزاً) ذات القصور هل جاءها نبأ البدور

وهي قصيدة عامرة كان أديب العصر الامير شكيب ارسلان يتلوها وكنت اسمعه يقول عقب كل بيت منها (نقر بباً) : لو لم يكن في هذه القصيدة غير هذا البيت لكفى .

ثم لما شبت الحرب البلقانية وكانت نتيجتها ضياع الروملي قال في ادرنة قصيدة فريدة دعاها الاندلس الجديدة مطلعها :

يا اخت أندلسٍ عليك سلامُ هوت الخلافة عنك والاسلامُ

ولما غلبت الدولة العثمانية في الحرب العامة واحتلت الحلفاء بلادها وقام على اثر ذلك مصطفى كمال بثورته المشهورة نظم قصيدة دعاها (انتصار الاتراك في الحرب والسياسة) اولها :

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العربِ

وثانية عنوانها (تكليل انقرة وعزل الاستانة) مطلعها :

قم ناد (انقرة) وقل يهنيكِ ملك بنيت على سيف بنيكِ

ولما ألغى مصطفى كمال الخلافة وطرد الخليفة بكى الخلافة أحرّ بكاء ورثاها أفجع رثاء بقصيدة أولها :

عادتْ أغاني العرس رجع نواحِ ونعيتِ بين معالمِ الافراحِ

هذا بعض ما قاله في الأتراك وله في البلاد العربية قصائد منها قصيدة يستندي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بها اكف المصريين لاعانة المقاتلين في طرابلس الغرب حين أغارت ايطاليا عليها اولها :

يا قوم عثمان والدنيا مداولة تعاونوا بينكم يا قوم عثمانا

وقصيدة دعاها (نكبة بيروت) قالها حينما ضرب الاسطول الطلياني هذه المدينة مطلعها :

يا رب أمرك في الممالك نافذ والحكم حكمك في الدم المسفوكِ

ولما زار الشام في الصيف الماضي قال قصيدة في لبنان أولها :

السحر من سود العيون لقيته والبابلي بلحظهن سقيته

وقصيدة في دمشق مطلعها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداث وأزمان

وقد كانت هذه القصيدة غاية في البراعة ، فانه ضرب بها على مكامن الحس من قلوب الدمشقيين ، وبلغ مواطن عواطفهم فاستثارها ، فذكر لهم عدنان وغسان وأمية وعبد شمس ومروان ، وذكّرهم بالدولة العربية التي كانت دمشق عاصمتها ، وتفجّع على ذلك التاج الذي هوى ، وبكى ذلك العَلَم الذي انطوى ، ورثى ذلك العرش الذي ثُلّ ، واستجاشهم لإحياء المجد الدارس ، فألهب قلوبهم حمية ، وأجرى دموعهم حزناً ، والفتى الدمشقي يكفي ان تعرّض له ببعض هذه الذكريات ثم تدفعه الى مواجهة الموت الزؤام .

ولما نُكبت دمشق رثاها بقصيدة كانت عزاء حسناً للدمشقيين على كارثتهم واولها :

سلام من صبا بردى أرقُّ ودمع لا يكفكف يا دمشقُ

وكذلك فان بصره امتد الى اقصى الشرق فرثى لليابانيين حينما اجتاحتهم الزلازل بقصيدة مطلعها :

قف بطوكيو وطف على يوكاهامه وسل القريتين كيف القيامه

* * *

في شعر شوقي روح دينية ظاهرة ، فكثيراً مايرد اسم الله والملائكة وجبريل ومحمد والقرآن والدين والايمان والإسلام ومشاعر مكة والمساجد والاذان ، ومع تفوق روح الدين الاسلامي في شعره تراه يعظّم كثيراً من شأن بقية الاديان السماوية ، فيلمح بذكر موسى وعيسى والعذراء ، ويتأدب عند ذكر مقدساتها ، فالصليب في شعره رمز الرفق والعطف والحنان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحوادث التاريخ والإشارة اليها والاستشهاد بها كثير في شعره لا سيما أعاظم الرجال فانه مفتون بهم مغرى بذكرهم فالفراعنة والاكاسرة والقياصرة وخلفاء العرب وسلاطين الترك شائع ذكرهم في قصائده وله منظومات قصرها على الاشادة بمفاخر العظام كقصائده بالنبي والصديق وتوت عنخ آمون وعبد الرحمن الداخل وصلاح الدين الايوبي وشكسبير ونابوليون بونابارت ومحمد علي واسماعيل ومصطفى كمال وغيرهم ممن يعظم شأنهم وكم يدور في شعره اسماء بعض الخالدين مثل هومير وسقراط والاسكندر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وخالد بن الوليد والحسين بن علي وعمرو بن العاص وهرون الرشيد وغيرهم .

* * *

ولشوقي أثر ظاهر في الشعر من حيث تنويع ابوابه وجعله ترجماناً للحياة بعد ان مرّ عليه زمان كان فيه أداة فكاهة وتسلية كما ان أسلوبه العذب جرى عليه كثير من شعراء العرب المعاصرين فكثيراً ما يقول شوقي القصيدة فيبادر غير واحد من الشعراء الى مجاراته في البحر والقافية والموضوع . وهو لم يخرج في طريقته على الاسلوب العربي على كثرة ما يتناوله من الموضوعات الجديدة ووصف المستحدثات كقصائده في العمال والصحافة وبنك مصر والهلال الاحمر والمؤتمر الجغرافي والطيارة وما يشابهها بل انك لترى في كل ذلك كلمات وتراكيب هي مثال عالٍ في الفصاحة مع سمو الخيال . وفي هذا دليل على ان العربية وأساليبها لا تعجز عن استيعاب كل منحى من مناحي الشعر العصري وما تستدعيه المدنية من التوسع والتجدد .

اما قوته على استهواء النفوس ونفوذ سحره الى مكامن الحس والشعور فنجتزئ عن ايراد الشواهد عليها بقطعة من أبيات استعطف بها السلطان محمد رشاد على عزيز علي المصري قال :

هذا مقام أنت فيه محمد والرفق عند محمد مأمولُ
بالله بالاسلام بالجرح الذي ما انفك في جنب الهلال يسيل
الا فككت عن السجين وثاقه ان الوثاق على الأسود ثقيل

فانظر الى قوله (هذا مقام أنت فيه محمد) ما أشد تأثيره فيمن يكون خليفة وكم يرقق نفسه ويبعث فيها الاريحية حتى تلين وتقبل الانطباع بما سيرد عليها فتتقبل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرجاء وتستجيب الدعاء ، واي خطاب أعظم وأكرم وأشرف من هذا الخطاب ؟ ثم انظر بمَ استحلفه وباي قسم عزم عليه ؟ بالله الذي يعتبر نفسه ظله على الارض ، والإسلام الذي يتشرف بكونه خادمه وحاميه والجرح الذي كان في علم الاسلام يسيل بعد ضياع البوسنة والهرسك وطرابلس الغرب والروملي ، وانا اظن ان لو استعطف الرشيد بهذه الابيات على البرامكة لوهبهم للشاعر .

ليس لشوقي فلسفة خاصة في الحياة ولكنه مولع بالدعوة الى مكارم الأخلاق على وجه سطحي عام ودعوته هذه أشبه بالموعظة منها بالرأي الذي يعتمد على أسس وقواعد وهو مع ذلك كثير التمتع بملذات الحياة .

ومما لا مرية فيه انه في السنوات الأخيرة شارك الامة المصرية في عواطفها وشعورها وقاسمها سرّاءها وضرّاءها واكثر من قول الشعر اكثر من قبل فلا تقام حفلة في مصر إلا كان شوقي شاعرها ولا يحدث فيها امر ذو بال إلا طلع شوقي على الناس بقصيدة يستوعب فيها الحادث ويرشد الناس الى ما يجب عمله .

نشط منذ بضع سنين بعض الأدباء الى مناقشة شوقي في شعره ، فانتقدوه انتقاداً مراً ، ونعوا عليه كثيراً من سقطاته ، وتتبعوه في زلاته ، وذموا مذهبه في الشعر ، وادعوا انه مخالف للفن بعيد عن الجمال ، خارج عن حقيقة الشعر ، بهرج لا يثبت على محك النقد ، ولئن خدعت به الأمة في طور جاهليتها فلا يجوز ان تنخدع به بعد ان ارتقى ذوقها الأدبي . ونحن لا ندعي ان كل ما قاله شوقي في مستوى واحد من الجودة او أن شعره جلّ عن النقد وتبرأ من العيوب ، فان هذه غاية لم يبلغها شاعر ، ولكن اذا أمكن ان تعد سيئاته فحسناته لا تحصى ، وهو مع إكثاره قليل السقطات ولو أسقط السخيف من شعره لبقي من الحر البارع مقدار عظيم ليس لشاعر مثله في هذا العصر ، وما من شاعر سعد بشعره كما سعد شوقي ، وما اتفقت الآراء واصطلحت الاهواء على تقديم شاعر كما اتفقت على تقديمه . اذكر مرة انني أنشدت ادبياً من كبار أدباء العراق قصيدة لشوقي يصف بها الطيارة مطلعها :

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(قم سليمان بساط الريح قاما)

فانتصب واقفاً وقال : من حق هذا الشعر ان يسمعه الانسان قائماً لا قاعداً ·

فلا غرابة بعد ذلك اذا زعم بعض الناس ان الرجل مزهو تيّاه متعجرف فخور ·

ويقال ان طريقته في قرض الشعر ان ينظم القصيدة كلها في ذهنه ثم يمليها · وهو لا ينشد شعره بنفسه بل يتلوه سواه ، ولعله يعتبر ذلك من مقتضيات الترفع والإباء والشمم · و يريد ان يجري على سنن بعض كبراء الشعراء فقد كان ابو تمام الطائي لا ينشد شعره بنفسه بل كان له غلام لا عمل له غير الإنشاد · وابو الطيب المتنبي كان ينشد شعره بحضرة الملوك قاعداً لا قائماً ، هذا اذا لم يكن لدى شوقي سبب يمنعه من الإنشاد كخفوت الصوت او عدم ممارسة ارتقاء المنابر ·

* * *

اما الجزء الاول من الشوقيات الذي تقدّم اليّ المجمع العلمي ان اكتب عليه فلقد حوى طائفة صالحة من شعر الشاعر في السياسة والتاريخ والاجتماع وما يتعلق بذلك من الفنون والأغراض واستقصاء مافيه من المحاسن والدلالة عليها او الإشارة اليها والتنويه بها يستدعي نقل اكثر الديوان ولكننا نجتزيء بنقل نبذة يسيرة نحلي بها جيد هذا الفصل · ولنبدأ بايراد شيء من معانيه الرائعة واكثرها مبتكر فمن ذلك قوله في النبي عليه الصلاة والسلام ·

نُظمت أسامي الرسل فهي صحيفة ... في اللوح واسم محمد طغراء

وقوله فيه ايضاً :

وأسدتْ للبرية بنتُ وهب ... يداً بيضاء طوقت الرقابا

لقد وضعته وهّاجاً منيراً ... كما تلد السمواتُ الشهابا

وقوله في الشمس :

مشيبة القرون أديل منها ... ألم تر قرنها في الجو شابا

وقوله في الدنيا :

ومن تضحك الدنيا اليه فيغترر ... بمت كقتيل الغيد بالبسمات

وقوله في الجهل :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجهلُ لا يلد الحياةَ موائتُه الا كما تلد الرمام الدودا

وقوله في أبي الهول :

ابا الهول ما ذا وراء البقا ـ ء اذا ما تطاول غير الضجرْ
عجبتُ للقمان في حرصه على لبدٍ والنسور الأُخر
وشكوى لبيد لطول الحيا ـ ة ولو لم تطل لتشكى القصر
ولو وُجدتْ فيك يا ابن الصفا ـ ة لحقتَ بصانعك المقتدر
(فان الحياة ثقل الحديـ ـد اذا لبسته وتبلي الحجر)

وقوله في الحسان :

القاتلات باجفان بها سقم وللمنية أسباب من السقم

وقوله في الدنيا ايضاً :

لا تخفلي بجناها او جنايتها الموت بالزهر مثل الموت بالفحمِ

وقوله في العمال وهو غاية في حسن التعليل :

قد دعاكم ذئب الميـ ـئة داعٍ فأصابا
هي طاوس وهل أحـ ـسنه الا الذنابا

وقوله في مشرط الطبيب :

كريم الظبا لا يقرب الشر حده وفي غيره شر الورى ومعاطبُه
اذا مرَّ نحو المرء كان حياته كإصبع عيسي نحو ميت يخاطبه
وايسر من جرح الصدود فعاله وأسهل من سيف اللحاظ مضاربه

ومثل هذا في الديوان كثير ولا بأس بنقل شيء من شعره يدل على رأيه في الضجة القائمة حول القديم والحديث من الأدب فمن ذلك قوله من قصيدة في تكريم امين افندي الريحاني :

هومير أحدثُ من قرونٍ بعده شعراً وان لم تخل من آحاد
والشعر في حيث النفوس تلذه لا في الجديد ولا القديم العادي
حق العشيرة في نبوغك اول فانظر لعلك بالعشيرة باد
لم يكفهم شطر النبوغ فردهمو إن كنت بالشطرين غير جواد
او دَعْ لسانك واللغات فربما غنى الأصيل بمنطق الأجداد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان الذي ملأ اللغات محاسناً جعل الجمال وسره في الضاد

وقد شرح البيت الاول بما نصه : (هومير شاعر يوناني قديم كان شعره قصصاً يضمنه وصف الأبطال والإشادة بذكرهم وهو صاحب الالياذة يريد ان شعره على انه قديم فهو أجود من شعر الذين جاؤا بعده وان كانت ايامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد في عددهم) .

وشرح البيت الثالث بما نصه : (حق العشيرة الخ في هذا البيت والأبيات بعده أمور اخذ بها الريحاني في رفق ولين فهو يقول له ان كانت معانيك في كتابتك جيدة فألفاظك فيها رديئة لانك أهملت جانب اللغة العربية وهي الشطر الثاني من شطري النبوغ وايضاً يقتضي الوفاء لعشيرتك وقومك ان تحسن لغتهم حتى تغنى بها) .

وقوله ايضاً :

لا تحذ حذو عصابة مفتونة يجدون كل قديم شيء منكرا
ولو استطاعوا في المجامع انكروا من مات من آبائهم او عمّرا
من كل ماضٍ في القديم وهدمه واذا تقدّم للبناية قصّرا
واتى الحضارة بالصناعة رثّةً والعلم نزراً والبيان مثرثرا

وله في هذا المعنى ابيات من قصيدة في رثاء المنفلوطي ننقلها — وان لم تكن مثبتة في الديوان — لانها أوضح واكثر تحريراً لرأيه :

لم يجحد الفصحى ولم يهجم على أسلوبها او يزدرِ بالأوضاع
لكن جرى والعصر في مضمارها شوطاً فأحرز غاية الإبداع
حر البيان قديمه وجديده كالشمس جدة رقمة وشعاع
يونان لو بيعت بهومير لما خسرت لعمرك صفقة المبتاع

ولنذكر موقفاً من مواقفه المحمودة في الوفاء فمن ذلك قوله من قصيدة في تهنئة السلطان حسين كامل بعد خلع الخديو عباس :

سبحان من لا عزّ إلا عزّه يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس في ملكوته إلا رضىً بقضائه وقبولا
الخير فيما اختاره لعباده لا يظلم الله العباد فتيلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الله يشهد ما كفرت صنيعةً ... في ذا المقام ولا جحدت جميلا
وهو العليم بان قلبي موجع ... وجعًا كداء الثاكلات دخيلا
أأخون اسماعيل في أبنائه ... ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا
يا اكرم الأعمام حسبك ان نرى ... للعبرتين بوجنتيك مسيلا
من عثرة ابن اخيك تبكي رحمة ... ومن الخشوع ان حباك جزيلا
ولو استطعتَ إقالة لعثاره ... من صدمة الاقدار كنت مقيلا

وفي الديوان قصيدة عنوانها (دمعة وابتسامة) جعلها تهنئة لأم الخديو عباس بعودتها الى مصر وتعزية في حفيدها الذي سبقتها رفاته الى مصر يقول فيها :

ملكتْ نفسكِ حتى سئمتْ ... ضجة الملك وهمَّ المالكين
دولة مهدت في كرسيها ... وحملت التاج فيها اربعين
امَّ عباس عزاء الله ان ... عيَّ بالرزء عزاء المخلصين
غير هذا الجرح داوى قلبي ... هو جرحي وهو مستعصٍ كمين
مرَّني ان قرَّب الله النوى ... وشجاني في غدٍ من تدفنين
قمر حيف عليه فانتحى ... منزلاً بين الأصول الآفلين
شفَّه الأين حنينًا فقضى ... وكرام الطير يرديها الحنين
فأخذنا قسطنا من ثكله ... عانًا نحمل عنكم أو نعين
ورفعنا في الضحايا ذكره ... وأذعنا يومه في الآخرين
ووجدنا عند ذكرى دمه ... طيب أبناء (الحسين) الطاهرين
وكأن الناس في موكبه ... لجلال الموكب الآخر دين
وكأن الآل فيه (هاشم) ... وكأن الميت (زين العابدين)
حلَّ (بالقاسم) مصباح الهدى ... و (بابراهيم) نور المتقين
ليس من قدري وقدر الشعر ان ... نذكر الصبر لأم الصابرين
التي حجَّت وزارتْ ورأتْ ... تحت هذا الترب خير المرسلين
حكمت فيه المنايا مرة ... وجرى الحق عليه واليقين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأخلق بالنفس الوفية ان تكون أبيـة ، واي شيء أدل على إباء شوقي من قوله مخاطباً السلطان عبد الحميد :

زهدت الذي في راحتيك وشاقني جوائز عنـد الله مبتغيـاتُ
ومن كان مثلي احمد الوقت لم تجز عليه ولو من مثلك الصدقاتُ

وماعليه بعد ذلك ان يدل بنفسه ويفخر بشعره؟ فتارة يدعو نفسه حسان بن ثابت فيقول :

وما زلت حسان المقام ولم تزل تليني وتسري منك لي النفحات

وأخرى ابن هانيء فيقول :

ملكت امير المؤمنين ابن هانيء بفضل له الالباب ممتلكاتُ

وثالثة البحتري فيقول :

... ان الذي قد ردّها وأعادها -في بردتيك أعاد فيّ البحتري

ويقول ايضاً :

... وتعارضت فيك القرائح وانبرى لأبي نواس البحتريُّ المفلقُ

وربما لج به الفخر فرأى المتنبي دونه فقال :

ولي درر الاخلاق في المدح والهوى وللمتنبي درة وحصاةُ

والابيات التي يفخر بها بشعره غير قليلة .

ولا اريد ان افرغ من هذا الفصل قبل ان أشير الى هنات وقعت في الديوان لتكون عوذة لمحاسنه .

قال لي مرة الأستاذ المغربي : انني اجد أحياناً في شعر شوقي غموضاً وابهاماً ، فكنت أتأدب معه بدفع ذلك وحمله على سمو خيال الشاعر ودقة معانيه وتحليق نفسه ، ومهما يكن السبب فان ابياتاً وردت في الديوان تؤيد دعوى الاستاذ منها :

نازح الدار ما لبينك حدّ ولقرب الديار زادك بعدا ؟

ومنها : وما حذا (كفؤاد) حذو والده بالعلم براً ولا بالفن إحسانا

ومنها : حمّلته[1] في الحب ما لم يكن ليحمل الحبُّ على قلبه

(١) الضمير عائد على القلب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما ان في الديوان تجوزاً لغوياً كقوله :

... ونَبْذَ المقوقس عهد الفجو ر واخذ المقوقس عهد الفَجَرْ
وتبديله ظلمات الضلا ل بصبح الهداية لما سفر

يريد ان المقوقس عامل مصر استبدل بظلمات الضلال قبل فتح الاسلام لمصر صبح الهداية بعد الفتح ، والوجه ان تدخل الباء على (ظلمات) لا على (صبح) لان الباء تدخل دائماً على المتروك قال الله تعالى : (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) وقد رسمت لفظة طاوس في ص ٨٧ بواو ين والوجه ان ترسم بواو واحدة .

وفي الديوان ابيات قليلة بادٍ عليها اللين والضعف والهزال ولولا اثباتها فيه لما كنت أصدق انها من شعر شوقي منها :

يسأل الناسُ عندها الناسَ هل في النا س ذو المقلة التي لا تنام

(والقصيدة التي منها هذا البيت قلقة في الفاظها ومعانيها وهي لا تشاكل شعر شوقي)

ومنها : ودار للامير على (چبوقلي) كهمته علواً وارتفاعا
(ركبنا الكهرباء لها فسارت تسابق في السموات (السباعا)

وهذا كما ترى أهون من ان يكون غميزة في شعر شوقي لقلته ، والشاعر الذي تعد كبواته وتجل عن الاحصاء حسناته هو الشاعر العبقري غير مدافع .

الاسكندرية : عضو المجمع العلمي العربي

خليل مردم بك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net